

بلاغة المرايا

شعر

مصطفى العايدى





بلاغة المرايا

المجلس الأعلى للثقافة

بلاغة المرايا

شعر :

مصطفى العايدى



١٩٩٦

إهـــداء ..

إليهمـا : أمــى .. وأبــى

الصمتُ والنــداء .

مصطفى العـبايدى

حوار

قالت : أرنى وجهكَ ..

أخبركَ بالذى أشعل الخاطر ؛

وحلَّ شفرةَ القلبِ المُعنَّى

قلتُ : كثيراً كثيراً ما أظمأنا الوعدُ

وأهلكنا البوح ؛

ولقد جمح الظلامُ ..

– لكِ أن تأخذى الآن زينتَكِ

فالعاشق المزعوم قد غوى

وأتلفه الصدُّ

لكِ أنْ تبصرى الآنَ وجهى

فقد تلاشى الوجدُ

وأحاطنى شوكٌ وورد ..

حتى شاخ الكلامْ

* * *

قالتْ : هى الغوايةُ .. تبعث النَّشوى

وتدفعنا كسربٍ من الكائنات

هى الغواية .. تحطّ على زهرة الرُّوح .

حينا بعد حين .. ،

ثم تصبح ذكرى ..

بينما المصابيح تهوى بالدَّاخل .

- قلتُ : .... !

قالتْ : .... !

- قلتُ : .... ،

قالتْ : ....

هو الآن على بابها

إهداء

إلى د . على شلش

هو الفتى ..

رياضُ القلبِ

وطائرُ الرُّوح

فكيف همزتْ به الأشواقُ

وحطَّ رحالُها .. ؟

هذا المكْفَهِرُّ .. الوالهُ

مَنْ له ..

وقد كان أولَ الحمى

.. كان صهوةَ العُلا

إذا رنتْ عينى لهُ

فبالدُّموعِ تغتسلْ ؟

هو الفتى ..

كيف أذهبَ خِلّه ،

لمَّا دنا ..

وشاقَه الغزلْ .. ؟

قال : البلادُ بلادى

هى آخر ما تبقّى فى دمى

هى قِبْلتى ،

حين تَختلفُ الجهاتُ

فكيف حوَّمَ الدَّمسُ الأثيرُ

وأقصاه الشّتاتُ ؟

كيف ألقتْ بِه المهاميزُ

ولم يَنْهَهُ الصَّدُّ عن هواه

كيف فارَقَ الجُرحُ نصلَهُ ...

وأعاد للمدى منفاه .. ؟

أىُّ حرف قد تضوّع منْ سناه

أىُّ زهرٍ قد نما منْ نداه ؟

هو الآنَ على بابِها ،

واقفٌ ..

طائفٌ حولَها ،

آخذاً مِنْ طلْعِ النَّخيلِ شذاه

هو العاشقُ الْهَشُّ

هو الصَّدرُ

والعينُ

والجيشُ

له الآنَ ما يشاءُ

له الأسى الآسرُ

والغناءْ

هو الفتى ..

رياضُ القلبِ

وطائر الرّوح

وشقشقةُ الضّياءْ

رُبّما شرَّدته لغةُ الغمامِ

التي غاب فيها ،

وانْضَوى مُسْتَنْفَرا

طوَّفَ في أرجائها ..

وحَّد بيْن الجهاتِ والجهاتْ

حوّمَ ذاتَ اليمينِ وذات الشّمالْ

جَنَّح في الهواءِ ..

أو شقشق في العَراءْ

* * *

ربَّما غلَّق أَعْيُنَه دونها

وسافر فى الغياب

أوهام فى الإياب

ولم يُلْقِ معاذيره ..

* * *

ربَّما أثقَلتْ موازينَه الرُّؤى

فباح بالأسماءِ للأسماءْ

استبدل البكَاءَ بالبكاءْ

أو حَاول الغِناءْ

* * *

ربَّما لَمْلَمَ شَعثَها من شرنقةِ الجروح

وأحلَّها داراً أخرى

تشبه الخرابْ

ربَّما قاطع النِّساء بها ..

وحلَّ عقدَةَ الكلامِ بالكلام

جلاَّ عتمةَ الظلام

* * *

ربماَ أسلَمَ وجهه للرِّيح

لمّا لفَّه الشَّفقْ

أو أطبق الغسقْ

إذ كانت البلادُ بِلاده ..

كانت له الشمس والألقْ

تلك التى خلعتْ أستارها أمامه

ومدَّت نشيجها للسراب

وسدَّت نارها بالترابْ

* * *

ربّما كان كُلّ شئ ضِدَّه

كلّ شئ خصمه

ربّما كان إلفه ،

ولَفيفَه

حتى إذا ما أخذته سِنَةٌ مِنَ النَّومِ

قام ،

ولم يعرف الهِجاءْ

هى سيدة للمواعيد ،

غابة للبكاء ..

هى مثله فى الشَّقاءْ

إذ كانت للنهايات ابتداء

وللفضاءِ فضاءْ

* * *

ربما هى التى كذَّبَتْ هدهدها

لمّا أودعْتهُ الأرضَ شاردا

قصَّتْ ريش الجناحين ،

واستعانَتْ بالخصومْ

لكنَّه ظل مجذوباً نحو المجَرّاتْ

مبعوثا بالمماتْ ..

ساطعا بها .

النـــزال

لم تمش الفتاة إلى شاطئِ النهر وحدها
إذ كان الشركُ معدا لاصطياد الطيور
بينما كانت الرِّيح تلهو بجانبها ،
تخلع الأشجار ..
وترتدى أوراقها ..
تبادل الوقت الفائت بالخريف
ها قد حملت الفتاةُ قبضة من الحنين
وألقتْ بها للصقور ،
فاشتعلتْ عظامى

وألبستنى دروعها

لتقرَّ عَيْناى ،

بانكسار التخوم ..

لقد كاد الشرك البغيضُ يطبق على عطرها

ويسْلمها للزوال ..

بينما كنت أسير نائما ،

أرتب حفلا جديداً للهواء المسافر

وأدرب شعرى على اقتناص الجنادب

أحمله على نبذ السكون

خرافيةٌ أحزاننا مثل ليل الشتاء
وضيِّقة نوافذنا وقت الجنون !
قالت : تذكرتنى .. !
قلتُ : هو الحلم الذى يجتبى عتمتى
ويحشد فرسانه فى الظلام
فليس لى إلّاك ..
وكلّ المدائن عُشبةٌ فى الرمال
كلّ المباهج مبكياتُ
فكيف أطفئ فى دمى صولجان العشق
كيف هوتْ بى نخَيلاتُ الصِّبا
وارتدى قلبى ضمير الظمأ ؟

كيف مشى للمحال ؟

ها هنا لوحت لى بالكتاب

وبثت فى الهشيم زقزقات الضياءْ

ها هنا .. جرت أناشيدُ الكبرياء

فكيف بدت صورة النهر فى عَينى كالحجر ؟

وهذا المدى المشتهى : كيف هدأ ! ؟

وكيف ضلَّلنى الماء بالماءْ

وقادنى للسَّراب ؟

كيف .. ؟

ولم يزل لها وحدها النبع مدخرا من شتات الجموح

لم يزل لها بابُ الفتوح !

فمتى يشفٌّ هذا الليلُ

كي ندخل فى فصول النهار .. ؟

متى يجرى وجهها نحوى

لنهمس كلمة السِّـر ؟

متى ينزاح الستار ..

لترى وجعى ..

خارجا من جحيم التمنِّى ،

يلقى على الوجه بعضَ شموسى

لكنَّ ...

هو الطعنُ المباح ..

هو الغياب المضئُ

هو العبق المشتهى

يدلى إلى الروح سلمه فيا أيّها المحزون

لم نازلتنى بالذى أهواه

وصمتك الآن يشدو ،

شدوك الآن يسرى فى ضلوعى

والدم المهزوم غيض .. ؟

لم أشعلتنى ؟

والخطوب فى المهد نامت ،

وقد مضتْ سُنَنُ الغزاه

فهل تتبّعت عطرها .. ؟

هل جادلتها ..

لتحتمى بك ؟

أم تحتمى بها ... ؟

يا أيُّها المغامر .. ،

أعييتنى ..

فمن يعيد السؤال

من يقودنى لها .. ؟

فما يزال للغائب سرٌّ الحضور

حيث ، لم تمش الفتاةُ إلى شاطئِ النهر

ولم تنهض ..

فقد كان الشَّرك معدًّا لها

بينما كانت الريح تلهو بجانبها

تخلع الأشجار من جذورها ..

وتغفو .. !

قصاصة من زمن المنفى

أجل

أنا الذى تهيأ لقيامة الأسى

واعتناق الغضبْ

تتبعتُ القوافلَ باكيا

وجست خلال الليل

أقرأ شفرة الفضاء

وأروى لها كلّ المعلقات عن ظهر قلبْ

تشممتُ رائحةَ الخريف

رأيتنى أكرُّ خلف نُجيْمةٍ

تغشاها الغيومُ وتضربها الأعاصير
أنا الذى فزعت كالطير من صحوٍ مخيفْ
قلت : أستعيد رباطةَ الجأش
أقيم مقبرةً بصدرى للذين يولدون
فما الذى يوقظ اليقظان من نومٍ عميقْ
أو موتٍ محقق ؟
أفٌ لى ...
هاقد أخفت الريحُ عطرَها القديمَ
لكنّ شيئا على شرفتها قد بدا ..
شيئا ما يشبه النسيم

وحينما أبكيه يتمايل مزهوا ويرحلُ بلا معنى

أفٍّ لى ..

إذا ما جنَّ الليلُ

وخضَّب جرحَها

واستكنَّ بالروح وخزُ الألم

أجل .. لعلنى أدركت فصاحتى فى فنون اللغو

فهجرتُ قبيلتى عند الفجر دهرا

وهبت كارثتى لها

لم أحدِّثها

قلت فى انكسار المغامرين :

سوف تلقى حتفَها قبائل التتر

والأشاوسُ المدججون بالسلاح

والمهرجون

والغجر ..

سوف يهُزمون

قلت فى انفعال المغامرين :

أنا الذى سوف أثير غبطةَ الرجال

حتى يضحكوا ساعةَ الغرق

يلوِّحون للفلك

ويقذفون بالمجاديف للبحر

سوف أتخيّر موتا للنقوشِ القديمةِ والهياكل

سوف أتهيأ لا خضرارٍ يثير الجدلْ

وأدعوهم للسباق

أجل ..

سوف أعطيهم فى السرِّ شارةَ الفوضى

يعلقونها على صدر أول القادمين

أول الأحياء

فهل قلتُ فى رثائى : إن زمن المنفى

يعرفه القلبُ

وتجهله الخطى

وتحمله سنبلاتُ الدماءِ ..

قصاصةً من الورقْ

إذن فأنا روح المثقف

ومنطق الحكيم

والشاعر المبرمجُ فى صحراءِ الوْهم

أضحوكةٌ للثائرين !

يحذرنى وجهُ الصحاب

ويجهلنى التاريخُ

أكظم غيظى إلى حين
وحين تعضنى طفلتى الرضيعةُ
وتدهشنى بالبكاء السجين
ينهار الخزفُ الآدمى من حولى
أغيب فى الشِّعاب
وأسكن السراب
فلستُ بائعَ اللبن
ولا واهبَ المطر
ولا أنا بالبلبل الوديع
ولا بالمسافر الذى هدَّه السفر

كأننى فراشة أهلكها سلطانُ الغناءْ

ولم يعصمها جدارٌ من حذرْ

أو تشويشٌ لجوع !

أجل ..

أنا الذى تهيأ لقيامةِ الأسى

وللبهجةِ القادمة ..

يدّخر الدموعْ .

بثٌّ من الحزن ..

« إلى رهين المحبسين .. أبى العلاء المعرى »

مُباح لكَ الحزنُ سيّدى

فالتقط أولَ الثمارِ ؛

آخرَ النهار ..

واخرج على عجلْ

وسْوَساتُ الفُتونِ يحوّمْنَ حول الرُّوحِ ،

ويُشْعِلنَها بالقُبلْ

فانتبذْ من دونهِنَ مقعداً لا يبوحْ

فليْسَتْ للعتمةِ صورٌ أخرى

ولا سنًا يلوح ..

مُباح لكَ الحزنُ ..

وصحبة الغائبين ،

وقفةُ العارفينْ

مباحٌ لكَ الجموحْ

فهل تشتهى قرطاسا ..

وسيفًا مُغمدا

وحنجرةً للأنينْ ؟

* * *

يا لَوحشَةَ العرين ..

كم تغنَّيتَ طويلا بالصدَّى المذبوح

وكم رفَّ طيرُ الهوى بالجروح

فهل تبتغى سيدى سُلَّما

كى تنازل الحصى بالحصى

والهواءَ بالهواءْ ..

تقايضَ الفَناءَ باليقينْ ؟

* * *

ماذا .. لو أطلقتكَ الأعينُ البيضاءُ

لو منحتكَ ذاكرةً للحنين

فاخترتَ لها ..

من الفصولِ ما تشاءْ

ومن الألوانِ ما تشاءْ ؟

ماذا .. لو منحتكَ حدائِقُ الشَّمسِ بعضَ أسرارها

لو استوى هذا الدَّمسُ

والضِّياء

وأنتَ تعبر المدى

تجربُ الغناءْ

* * * *

آه سيدى ..

مُباحٌ لكَ الحزنُ ..

وإن بدا بابُه موصدا

مباح لنا البكاء

مباح لنا البكاء

وردةُ الحُـمَّى

هو الطارقُ المشتعُل ..

يضرب أشلائى

وينزعنى من غواية الظِّل

يكتب وصيته لدمى

يمنحنى منظاره

لأرى نخلتى ..

وهى تمشى صمًّاء ..

خلف القافلة .. ،

ثم تنام مرصعة بالشظايا

مشحونة بالعطايا

بالأمس ،

قلت لها : يا امرأة من ضلوعى ،

تبعثر زجاج صمتى

فى جسدى تنبت وردة الحمى

ولم أخرج للخلاء

ولم أبتدع حكايا !

يا امرأة تأخذنى إلى أقطارها

هاهو الصوت الباقى من شدو البلابل

ما يزال يحتمى بعينيك

ويجلب عشاقه إليك ،

يغزو وجعى

يدفع دمعى

هاهو القبس المرتجى ،

يخبو ..

مشتبكاً مع ليلى ..

فهل ترسلين الصواعق مرة ،

على أطلال بصرى

وسمعى

وهل تهجرين مملكة الخرائط

إلى حيث الكواكب باسقات ؟

(أنت يا عين كنت لى / للصّبابات سُلّما

ثم حَمَّلتنى الثقيل / وأبكيتنى دما)

لكأنى قلت لها وقد حاصر الليل أبوابها :

أما آن لنا أن نعلن موت الهزائم

ونصطفى للروح سكينتها

بعد أن ضاقت بنا الأرض

واهتزت الأكوان ؟

هو الطارق المشتعل ..

قد ألقى بجمرته فى النهر

وألبس هذه البنت الأساور

أوحى للولد أن يكف عن الدوران

ترى كيف شرده الغرام

فبدا مثل طير المراعى

كيف استبد به الأسى

فنازع الحلمَ شذاه ؟

وعندما بكتُ الصغيرة لم ير للشجرِ الأخضرِ

نارا

ولم يرعشها ..

هناك خلف موجة الروح تحتشد الشواطئُ

وينساب الوقت على أرجائها .. ،

تستريح الوحشة .

ولا تنقضى .. ،

إذ تمر على ربوع للهوى ..

فلا ترى شمس المحبين

فكيف نامت العصافير فى جحور الأفاعى

وأوت الممالك للفاتحين ؟

أهو العرش الكذوب يخادع مقلتيها

أم هو الشرك الذى لا يبين

بينما البحر ينسى زواره

ويعلن انبلاج الرياح ؟

فمن أين جاد الهوى بالغياب

ووشم الحبيب على مهجتى ؟

هو الطارقُ المشتعلُ ،

يأتى .....

ينحنى

يوزع أوراقه ..

ويقرأ للصغار الكتاب

فهل عادت البنت إلى بيتها

أم تاهت معى فى الشعاب ؟

شجـــر مجـتث

لم يعد فى خارطتى مِنْ أحدْ ..
وهذا الفارس ينظر فى مرآته ..
كلُّ شئ يهاجر من صورته ،
يطعنه فى السِّـــر
ويسلبه تاج الهوى
والجســـدْ
كلُّ شئ ..
يطفو على موجةٍ من مســـدْ
فهل أدركَ زهـــرةَ شـمسـهِ ،
وأصغى لها ..

هل دنا من نهره الرَّملى

وشدا له ..

هل كان مشغولاً بأسراره

أم كان مشدوداً كالوتدْ ؟

* * *

قابلنى قُبَيْلَ رحيلهِ ،

قُبَيْلَ عرسهِ ،

قال : ابكنى ..

لأننى انتشيتُ ،

والبلادُ قاسمتنى الرَّمدْ

هوذا شجرٌ مجتثٌّ ،
وساريةٌ تنام فى ظلها المُسْتَلَبْ
كلٌّ شئ يهاجر من صورته
يخْلُفه نصلٌ من ذهبْ
كلٌّ شئ يهاجر من هيئته
يخْلُفه عطرٌ من لهبْ
هذا الفارس ..
لم يعد يشهد هيئة الهزائمِ التى
أذهبتْ عرشه ،
إذْ بدا كلٌّ شئ فى عينيه طللاً ،
وأطيافا ،
وأساطير ترتمى على صدره ،
تغازل صدَّه

قابلنى أمام قبره ،
وكان غائبا
قال : اهدنى ،
لأننى انتشيتُ ، أضلنى فؤادى
والبلادُ قاسمتنى الكمد
هذا الفاتح .. ،
كان يكشف لى قرطاسَه
ويروى للرِّيح ما كتبْ
كان يحكى عن ليله ،
وليلاه
عنْ نخلته التى تهواه
قال لى : كيف لا أرى فى العروق دمى
لا أرى فى الرَّوضِ غيرَ الحطبْ ؟

هكذا قد أتانا الزمانُ ، وانقضى بغتةً
لم يعد بيننا من يمشى على بريق سيفه ،
ولا من يهوى طلوع الفَلكْ
هكذا قد أتانا الزمانُ
وساد الحَلكْ

* * *

لم يعد فى خارطتى من أحدْ ..
الغربةُ والشيخوخةُ .. صنوانُ دمى
فابتغِ للذى تهواه منزلا ،
واحتمِ بالْجَلَدْ ..

هذان هما صنوان دمى ،

خيطان من الجمر اشتدا ،

وامتدا ...

جمعا ما بين الرَّهبةِ والرغبةِ ،

ثم انفكا ..

من مدًّ نزيفهما للرُّوح ، وتَمْتَمْ

من حطًّ على فمنا الأبكم رجع الأصداءِ ،

فصار الجسدُ الواحدُ نصفين .. ،

نصفٌ مقتول ، والأخر مشدودٌ للغيبْ ؟

من ثبَّتَ فى الصَّدرِ الواحدِ ساريتين ،

واحدةً للكرِّ .. ، وواحدةً للفرِّ ؟

من شدَّ على العنق المشوقِ وثاقَ الوهم ،

وأطلق فى المرآةِ قطار الألوان البيضاءْ

من زيَّن للقافلةِ سبيلا آخر ، معوجْ

وآسفاه .. هل صار القَرْحُ المالح يلبس

شيخوختنا

وصبانا ،

يغشانا كالموج ، حتى صرنا أشلاءَ وأشلاءْ

نبصر فى المرآة تقاطيع الوجه الآخر

نبكى قتلانا ..

ونغنى للإبل العرجاء .. ؟

* * *

كدتُ أصيح .. : ياهذا العابر بين مساكننا ،

تحت الجلد ، وخلف الرِّيح ،

إنَّا أخْلَفْنا موعدنا

وتواصينا بربيعٍ لا يأتى

أخفينا عن أعيننا لون الحنَّاء ،

نظرنا بالعين العمياء

فهل نبصر وهَجَ المصباح الموقد ،
هذا الزيتونى ، الخارج من فردوس القلب
هل يجمعنا الدَّربْ ؟
لم يعد فى خارطتى من أحد ..
وهذا الفارس ينظر فى المرآة
كلٌّ شئ يهاجر من صورته ،
يطعننى فى السرِّ
ويسلبنى تاجَ الهوى والجسدْ
كلٌّ شئ يطفو على موجة من مسدْ
كلَّ شئٍ ينأى للأبد .

قطـرة من الغـيم

إلى عبد الفتاح الجمل

يستَبيحكَ الوْخزُ النَّاشِبُ فى جدار القلب
ويطوى سريرتهَ على فَردوسكَ النَّائى
تَسْتبقى الذَّاكرةُ كهفاً من غضونِ الريحِ ،
تأوى إليه ..
كى تحيا هائماً ،
تتلوى كالصدّى الهاربْ
أو تَشْتَغلُ مَلُولاً تراقبكَ عيونُ الثعالب

* * * *

لاَ تَحتجبْ ..
ففى الحلم تمامَ الصّمودْ
وفى الصمود مواثيقُ الخلودِ ،
واجتلاءُ المهالكْ

* * *

لا عليكَ ..

الشمسُ لكْ

منذ متى فارق التَّسبيح مقامَكَ

وتهشَّمتْ صورتكَ بينَ لغةٍ للندى

ونشيج للمواكبْ

منذ متىِ ظَلّتْ تتراقصُ دمعةُ الحزنِ

أمام ساحتكَ ..

وأنتَ تجادلُ الفوضى

وتُقايُض الخراب بالَمالِكْ ؟

لا عليك ..

منذ متى وهَذى الخيوطَ الحجرية

تسكنُ سيفَ النهارِ البعيدِ ،

وترتادُ عتمته الموحشة ؟

منذ متى تبحثُ الرُّوحُ عن كنزها المفقودْ ؟

اقتربْ ..

كيما يزهر البارودْ

* * * *

لا عليكَ ..

هنا .. يتفجر الدّم المضيءُ أمام عَيْنيْكَ

ويبدو للشاهدينَ بُعد المشرِقيْن

وبُعد المغارِبْ ..

اقتربْ ..

أأعجميُ حزنك العربىٌّ ،

كأطياف الجهامة

وسبيلك للوطنَ المنشودِ ،

قد دنا ؟

فَتَتَبعْ قطرةَ الغيمِ من سماءٍ

إلى سما ..

كل الصُّقور استراحْت على أبراجها

والنجومُ الكليلةُ لوَّحتْ للسنا

اقتربْ ..

فبكاؤكَ للغناءْ ..

وغناؤُكَ يا صديقى للجراحِ المْوقدة

اقترِبْ ..

فالصباح قد غزا مضجعَكْ

* * *

أيها الواعُد ..

والموعودْ

أيها الغائب ..

ما الذى أوجعك ؟

هى ذى صخرةُ القلبِ تَضطرِبْ

أيها المحبُّ ..

لم يعد للموتى من شهودْ

وفصول الأسى لم تعد تجودْ

تشابكتْ الحدود ..

وانتثرتْ فوقنا الكواكبْ

بلاغة المرايا

آنَ لكَ أنْ تتركَ هذى المرايا

وترقصَ للعاصفه

تدخلَ الزمن العذرى ..

كى يمنحكَ موعدا ،

تصطفى له شمسا أخرى

وذاكرة غاضبه

* * *

آنَ لكَ أن تفتش فى الصدر

عن منعطف للحكايا ..

عن صحراء لاتأنس السكوتْ

عن بروق ورعود

وأساطير مجنحة .. ،

وأناشيدَ تفيضُ هوى ..

إذْ ترفّ عليكَ جفونُ ليلى

(رفيفَ الأقحوانةِ فى نداها)

تجيءُ مبتهجًا بالبداية

مسكونا بها ..

تقطع المسافاتِ خلفَ غيابها

فلا يهدأ الجواد

تنشدها حين تمسى ،

وحين تقوم : أىّ جسارةٍ رسمتْ

ظلال الحلم ،

فاختلجتْ لها الرّوح

أيّ بلاغةِ أسرى بها الملكوت

فانقاد الفؤاد ،

وغرَّد الطائر المذبوحْ

آهٍ ..

آنَ لك الجموح

كُلُّ طيفٍ بالغِ الفتنةِ تشتهيه
كأنَّ بكَ مسٌّ من هيام الوجدِ
وفى الدَّماء شجونْ
فهل تكاثرت المرايا فى كل واد
أم تُرى .. أرمدت العيون ؟

* * *

يا وجهها الذى ظننتُ ..
ياطالعا على مجرةِ السكونْ
هل تستبدل المرايا فصولَها
ويطمس السَّنا زخارفَ الألوانْ ؟

هل تبوح ؟

أم ترُى بعد هذا الليل

بعد هذا البينْ

يغلبها صباح الأعشىِ ..

لتنأى عن سمع وعيْنْ ؟

* * *

آنَ لكَ أنْ تتركَ هذى المرايا

وتصطحبَ سماءَ البلاد

تلم شعثَ الكلام المرتجل

وتنسخه شعاعاً على جبين غيمة راحلة ..

غيمةِ تردُّ ماالديها من قطوف

تَباغتُ غَسقَ الظنونْ

بعدما صار للحضور غيابْ

صار للضوء احتجابْ

وللوجع الكتوم هوانٌ واضطرابْ

* * *

آنَ لكَ أنْ تترك هذى المرايا ..

لتستيقظ الأشجارُ التى غادرها النَّهار

ويسقط عن ملامحها غموضُ الوقت .

ثرثرة

١ - النجم

النَّجم الذى يسقط من سماء العمر
يفتنه الظلام
يقيم أبراجه بعيدا ..
ويصنع من زبد الذكرى أشرعة
وجسورا ،
وستائر من أنفاس الليل
النَّجم الذى يسقط ..
تأنِسه الرّوح ،
فيتبعها للقبر

٢ - السقيم

قلت له : كيف لم تر عيناى كل هذا الحشد من الطير

وهذه الأكوام من الأصداف ؟

كيف استقرت الشواطئ تحت الجفون

فلم تر الفلك تجرى

ولم تر رقصة العواصف

ولا زرقة السماء

كيف برزت الأسوار أمامى

فعدتُ مبللاً بالملح . ،

سقيما ..

تحملنى دابتى .. بعيدا عن البحر

.. بعيداً عنها ؟

٣ - المغنىٌّ

يا .. ،

إنه المغنىٍّ يواجه سحر البحر وحده

فلماذا تتركه (كليوبترا)

وتمنح بهجتها للرمل ..

لماذا تخطف سماءَه الأعاصير

تنهره الصواعقُ

بينما الشراع المذهب يمضى

... يتبادل الغزاة الأدوار

ويتشــظّــى الوقت الخجول

ويرحل سرب الغمام

ولا يبقى له غير الصَّدى

٤ - الجــدار

أيهّا الأنا ..

الجدار قائم بيننا

فما الذى ترتجيه ؟

هاربٌ كالوتر

عاجزٌ كالحجر

مثقلٌ بى ..

فكيف لا تبكى ،

لتصبح مثلى يتيما ؟

كيف لا تمنحنى مرة طوق النجاه

٥ - المـوت

لأنه الموتُ الذى يهوى شوك الرَّحيل

ويُخْفى فجيعته بينَ الورود ،

فانتبه ..

والزم الصمت

بين انتباهة العين ..

والغياب مدى

فكيف تسافر خالياً من الفرح

لتزيِّن ركنا بمنفاكَ الجميل ؟

٦ - المأوى

آهٍ .. لماذا لم تشرق زيتونةُ البنت

بينما الشمس التى غازلتها المجرات ،

البعيدة ..

وأشعلتْ ماءَها .. ،

زمَّلتْ لغتى ..

ترى هل يستريح الآن قلبُها المتيم

ويترك لى هذا السِّراج ؟

عبثا أرتجى هذا المحيّا ..

وفى عينىَّ يسكن الطيفُ النحيل

يحيطنى الفضاءُ المهاجر ..

ويظللنى الشجر البخيل

آهٍ .... حيثما أمضى ..

لا مأوى .

٧ - الحــادى

أيها الحادى المحايدُ . ،

والمشرد فى دمى

غن بما تشاء

ودر كما تشاء

قُدنى مرة إلى مَهْلِكى

تَوِّجنى بالأسى ،

واهدنى للبكاء

فالخيل قد شردتْ

وشمسى بارده ..

وزرقائى صارتْ هى الدآءْ .

٨ - الشاعر

أيها المغمور تحت سترةِ الظلام :

إلى متى تدور

وتدور ..

ولا ينطق اللحن ،

ولا يبقى فى رحم السّكوت كلام ؟

ترُى ..

هل أضلّتكَ الشّواطئُ

وتربَّصتْ بكَ الصحراء ؟

هل صرتَ مفتونا كببغاء

ومذعورا كعصفور ...

هل صرتَ شقيا بالحضور ؟

أيّها الفاتح الأبديّ .. :

لكَ أن تثور

حيث لا فتيلة هنا .. دونَ الشّظايا

ولا همهماتٍ .. دون الفرح

أيُّها الشاعر .. :

انتظر البشارة ..

فقد تلألأتْ فى الكون ذراتُ

الرّماد

السـرايا تدخـل سـرابيفـو

تلك السرايا البائسة

هل كانت تناوش هدهد القلب

أم تستريح على جذوتها ..

زائغة العينين ..

تعد ما تقوله الجرائد فى الصباح

وتدخر ما تقوله فى برامج المساء

أكانت تدخل الميدان فى زى الحداد

تصغى لقعقعات الوجع

أم للخوار العالق بالدماء

أكانت تغنى للفؤاد

أم تغنى للرماد ؟

خارج من شظايا الجنون إليها

أرقب الطلل

وأبحث عن سماء للدخول ..

فهل حدثتها الظنون عن الدمار الجميل

وعن خيانة الأفلاك للقمر ؟

وهل أصابتها الدهشة

فاحتبست فى الروح رغبة البكاء ؟

هل تساقطت مع الفزع الأحشاء

تهالكت الفصائل ..

أم دمدم السأم ؟

أيها الخارج للوطن ..

الداخل للوطن ..

المسكون بالنار

أيها المصطلى بالنشيد المستعار

ماذا قالت العيون للعيون

حين سافر الألم ؟

إنها السرايا وحدها ..

تنفخ النفير ..

أو ترفع العلم ..

إنها لا تغفو على ثرثرة الأحياء

كى تودع شيئا عزيزاً

ظل يشبه الوطن ..

إنها لا تضل ..

حينما تنبش عن شاهد لها

تحت الركام ..

تجىء ..

قبلما ينهض الطلل الجديد

أو تذوى حدائق السلام

فلا بأس إذن أيها المبتلى :

أن تموت مرتين

مرة بالروح

ومرة بالبدن

ثم تعلن انتهاء هدنة الكلام

* * *

تلك السرايا البائسة

هل كانت تناوش هدهد القلب

أم كانت تبثه حصائد الألغام ؟

شــرفةُ اللّـيل

هذه شرفة الليل ...

فاجنح لها ..

واصطف نجمة للوقت

هم يهجعون الآن فى

الصحو المباغت ..

يبتغون السلام ...

بينما بريد النهار لا

يأتى فى موعده

ليقص عليك نبأهم ..

كيف حاصر العمر

نشيجُ الذكريات ..

أهاج غاشية الغياب ..

فحملت العصافير

عرشا من الخزف الملون

ثم حطت ..

كيف ملأت - أعشاش السماء ببيضها - هذى الطيور ؟

وكيف باغتت الوحشة بالغناء ؟

بل كيف أتمَّ الظمأ دورته الأخيرة ..

وصاغ من أرجازهم لحنا آخر ..

طيبون هؤلاء الرجال

وخيرون كالمطر

فهل أخطأت المطالع أبراجها ..

حبست أنوارها ..

بينما الوقت غير كاف للبكاء

والفراغ الفراغ ..

صار بعضا من رماد الذاكرة ؟

هكذا زُلزلت الموانئُ عند السفر

تشابكت الخطا على الدروب

ويبست أجنحةُ المطر

هكذا أرسل الشوق جنودا لم ترها

فجمع الرجال أرصدتهم من كنوز الوطن
حين أغلقت الأرض أبوابها ..
وبشَّرتهم النجوم باتساع الفضاء ..
أزاحت البلابل أغصانها ..
وسكن الهواء ..
هكذا غزت القلوب ريح باردة
وأسرج الحلم مصابيحه المطفأة
فهيا استعد حكمة الدهر
وول ووجهك شطرهم هيا ..
فإن آية الفجر الجديد تأخذ الآن ..
شكل الهلال .

أنشــودة للفتـى ..

(إلى د . أنس داود)

« يا أريجَ الشُّهداءِ

هلِ ترى الوردةَ والعصفورَ ..

في الحقل يتامى » (*)

ربما كانتْ واحدةً من بينهن ..

ربما حط على جبهتها قمرا ،

وناما

ربما كان الفتى ..

فاستعصِمْ

(*) من قصيدة : عندما ذبحوا البلبل : للشاعر أنس داود والتى نشرت بمجلة الشعر العدد (٧٠)

لم يسترقْ السمعَ ..

لينظرَ كربَتها

ولم يستل من اللَّغوِ سيفا ،

ولم يرم سهاما

ربّما جفّفه الجوعُ

ورواًه الظماً ..

بينما كلُّ الخزائن عامرة

كلُّ البنادقِ شاهره

ربّما صاح فى البرِّيةِ : أينَ فى الغربة نجدٌ أوُتهامَه ؟

* * *

أم ترى الشحوبَ غماما

ربَّما كانتْ له سكنا ،

آه ..

(أفقْ الآن ..

أميِّتٌ أنتَ ؟)

ونارا .. ،

نادته .. وناداها ..

أعطتهُ شَجَرَتَها

أوطارَحتهُ الغراما

ربما لـم يصمتْ

ولم يجهرْ

فالذَّى رأى صورة عرشِها على الماءِ ،

هامـا

ربما مضى بلا جَسدْ

بلا مَدَدْ .. ،

منذ اجتباه الترابُ

وعلَّمه الكلاما

ربما عاجله النبأ

فارتدّ للأبد

أو مشى مُسْتهاما ..

ردَّ ما لديهِ من هوى قاهرٍ

وقال : سلاما

* * *

يا أريجَ الشهداء ؟

هل ترى النرجسَ والبلبلَ ..

فى الحقلِ يتامى

« هل أنا المصدومُ وحدى

هل أنا المجنون .. هل أمضى

إلى نهر بعيد ..

أم تُرى أنسج أكفانى »

آه .. يا للفتى ..

ربما كانت واحدةً من بينهنَّ

أسرجت كوكبه ..

ومحت من مغاربه الظلاما

ربما خطَّ على جبهتها قمـراً

وناما

ربما فى سكرة الشَّجو ترفعه

مقاما

فضـــاء

أيّ هذى التضاريس تشعلُ البدنْ

فى وريدها الدّامى دمنا

وفى كفها وردة الوطن ؟

أى هذى التضاريس تأخذنا فى جوفها

جبلا

أوسهلا ،

روضةً من الظلِ

أو نارا تلفحناَ ؟

أيّ هذى التضاريس تسكن البدن

ويسكنها ..

ينساب على حجر منها

فيصعد الأبراج

يسمو به المعراج

يعّد نجومَها عداً

يشدّ غمامَها شداً

وينساها ..

ويذكرها ..

يمشى فى مناكبها

أىّ هذى التضاريس تجهلنا

ونجهلها ،

تمضى ..

فتبهجنا

وترهبنا

وقد كنا عشقناها أمدا

فكيف ناءتْ

واستحالتْ ظنّا ؟

كيف غابتْ

وأخفت لؤلؤها في قميص الليل ؟

بل كيف عادتْ ..

وألقت بجمرتها فى جُب النهارْ

ثم استحالت ماءً

وصدى ..

وفضاءً يُحكمُ الحصارْ ؟

أيّ هذى التضاريس تدفعنا

وندفعها ،

تغرِّقنا

وتجمعنا

لنغدو قبضةً من تراب الرِّيح

أو نبدو على الجدرانِ رسما ؟

* * *

البكتريا

أخا الدنيا ، أرى دنياك أفعى
تبدل كل آونة إهابا
وانّ الرُقط ايْقَظ هاجعات
واترعُ فى ظلالِ السلم نابا
★ احمد شوقى

البكتريا ..
لغةٌ أخرى
تصعد من مقبرة الخوف ،
وتفتح بابا سريا ..
كى يدخله الفقراءُ فيبتهجون
يجلس فى حضرتها الأمراء ،
الكهنةُ
والسحرةُ
والسّاسةُ

والضَّالوَن ،

اللَّيليونَ ، المستخفونَ بأطيافِ الأشباح

البكتريا ..

فصلٌ من باب الأضدادْ

من يدركه

يملكه ،

يحظى بالعيشِ المأمولِ ،

يطير بغير جناح

إذ انَّ الشهواتِ مسافاتٌ

لا يبلغها إلا خاسرْ

البكتريا ،

امرأة ناشز

تعشق قتلاها ،

تدعوهم ..

فيفرون إليها ..

وتفارقهم قبل دخول اللّيل

من لا يخشاها ،

لا يهرب من فتنتها ،

حتى يُقبر ..

البكتريا

أروع ما أبدعه الموتُ ،
حين يباغت من يجهله
فيؤانسه
ويهدهده
ويؤازره
ثم يصير هشيما
البكتريا ..
مملكةً دون مليكٍ شرعيٍّ ،
يُدنى من مجلسه الغرباء
ويؤاخى الفرقاء ..

يشهد أنَّ النَّاسَ سواء
والعالم مقسومٌ فى عينيه
ما بينَ ظلام وضياءْ ..
البكتريا ..
فردوس الشعراء ،
وذاكرة العامة ،
حين يشيخ العمر ..
خيط ضحى ..
حفنة رمل
باقة زهر
حلمٌ وثنىٌّ .. ورحيلٌ فى الأسرْ

البكتريا ..

كهفٌ أو قصرْ

أمةٌّ تعطى من يفدون إليها ،

دون رياءْ

وتمنِّيهم بالأولاد

وبالأموال

وتعاشرهم فى الحالْ

حينئذٍ تبدو السيرةُ فى حضرتها

محض حقيقة

أو محض خيالْ !

الـرّاقصــــون

هناك ...

فى مملكة الباليه ..

يتهيأ الراقصون القراصنة للحضور

حيث تتسع فصاحة الأشياء

وتستعيد فطرتها الأولى ...

تنهض الأسوار / البساتين

الخمارات / البيوت

المطايا / المطارات

الكتب / أسراب الجراد

العصافير / صناديق الاقتراع

القبور / مكاتب الفاكس

العروش / التوابيت

الصواريخ / جوائز الأوسكار ،

تأتى ....

لتهبط فوق جماجم الهنود الحمر ،

الـزنـــــوج ،

الصبية النافرين ،

الأشـــــاوس ،

مهج العشـــاق ،

الجوعى ،

تلقى (ليلى العطار) بفرشاتها البيضاء

ويصرخ الچنرال ... !

ثم يبدأ الحشد

والمـــد

والبرق

والرعد

والسراب الجديد

بعدها يبتهج المدجون « بسلاحف النيننچا »

ويدخلون البادية ..

تجرى من تحتهم الحقول ..

تميد بهم ...

وتبدى حنينا وندما

ثم تعود القوافل فى الليل متعبة

حيث لم تعد الشظايا لغة

ولا الحداء سبيلا للنجاه

ولم تعد للأبنوس وللعاج

أو للحرير أسـواق

هنا ...

فى مملكة الباليه ..

تدخل الأشياء فى الأشياء

والفضاء يسكن الفضاء

وصقر الماضى .. إذ يرحل فى المرايا ..

يفتنه الجنون الأرضى ..

يقيم قلاعه ..

وأبراجه

وجسوره

وأشجاره ،

فى كهفٍ بالذاكرة

يهادن فريسته

ويمنحها جوارحه ،

وحريته الباردة ..

يطفح الساكن فيه كالزبد ..

تسوخ ألوية السرايا

ويضحك اللاعبون الهوالس

ينقلب المشهد إلى شرنقة
وشرك بديع
ترتدى الروح التجاعيد
ويوحوح العشاق
بينما المرأة الساحرة تتسلل فى زينتها
لتسقط كشواظ من نار ،
فى اتجاه البراءة الغائبة ..
برهة .. يا أيها الجالسون ،
ويلتف حولها قوس قزح
يتقاتل على صحبتها الموتى
ويتسابق الغائبون ..

برهة ..

وتنهمر سحب البلادة

تنتفض الأعضاء ،

تنتعش ...

ثم يسقط الجميع كالفراش

وتنام المملكة ...

دون أن تغمض عينيها الجميلتين

مشهد للبهجة

هى جثتى .. ،
أعرفها من بين هذه الجثث
فسدوا منافذ الخروج
كى لا يفارقها المنفى
أو يباغتها العسس

* * *

كيف صار الليل سرمدا
والنهار مثله .. ؟
ولمن إذن تُرفع البيارق ..
ولمن تصطف الصفوف ؟
أفٍّ لكم ..
اتركوا لى رأسى ..
أو دعونى أختنق !

[١]

قال مساعد المخرج : خلِّ فرجةً بالستار

واصنع من الجمهورِ حاشيةً للملك

- أهذا الشاربُ لى .. ؟

« إنهّ شاربٌ رومىّ ؟ »

لكنه لا يناسب وجهى !

« انتبه ..

فهذا حذاء سعادةِ القنصل .. ،

قد لفَّه رداءُ الفارسِ المبتهج »

هذا الفارس ..

آه .. كيف ألقته الرِّيح هنا ،
حتى أدركه الموتُ .. ؟
أو هو الذى أدركَ موتَه ،
ليكتمل الهلاك ..
« هل تدخلون السَّامر ..
وتلبسون الأقنعه ؟ »
[. . .]
هذا الإيقاع ..
يهرب إلى شقة خالية بالطابق السابع ،
والأنوار حوصرت لتنام فى شارعٍ مهجور
لا ..
لم أك أهذى ..

حين نهضتُ بثياب بيضاء ،

وشاهدتُها تنظر إلى امرئ القيس وهو يبكى مكبلا

بينما كان السيد « مايكل جاكسون » ما يزال يغنى !

[٢]

آه ..

رائع هذا الدَّيجور

لم يبق من الألوان سوى ظل الرماد

وسوف يختفى القمر عند صياح الدِّيك

ثم يرقص فضاءُ المسرح للمسرح

ويبتهج الصَّباحُ من المحيطِ إلى الخليجْ

« ولسوف تأتى أسرابُ الطير الهاربة

وينطلق الباعة الجائعون صوب فناء المدرسة ..

ينادون : شِبْسىِ .. شِبْسىِ »

ولسوف يدخل التلاميذ الفصول

ليفرقعوا أكياس الهواء

ويقذفوا النعال

ثم ينامون !

[. . .]

ويحى ..

هذه جثتى .. تأكلها النار

كأننى أصيح : ارفعوا الأنقاض عن صدرى

وأعطونى عيونى ..

كيف صار اللّيل سرمدا

والنهار .. ؟

آه .. إذا ما أنكر الظن هواها ،

وضلّ جنونى ..

ونفد الحنين !

[٣]

هل قال مهندس الديكور : إن الفضاء موشح بخيوط العنكبوت

وهذا السراج القديم ..

هل سيظل معلقا على جبل يرقد فوق الظلام

ويفقد أوتاده .. ؟

- كيف لا تستوى العمامة فوق حافة القبعة

وقد صُنعت من نسيج يروى ؟

هل قلت لنفسى : إنها دعابة أطلقها مصمم الملابس

وهو يعدو فى الطرقات عريانا

كنتُ أسأله .. ولا يجيب !

- منذ عام قلتُ : انصتوا ..

حين يختلط الغناء بالنحيب !

قالت : إنهم ينزلون الساحة زمرا

يأكلون .. ويشربون

يلعبون ، ويتناسلون

فهل تمطر السماء حجارة ..

أم ياسمين ؟

* * *

[٤]

هل صاح المشاهد الواقف هناك ،

حين صعد الكومبارس : أوقفوا معزوفة الختام ،

لأننى لم أشاهد بهجة الافتتاح ؟

وهل همس المخرج : أجلسوه ..

أو أعدوا له مقعدا بالخارج ..

وقد أشار بسبابته نحوى : « إظلام » ؟

وهل كتب النقاد : الحوار خارج النص ..

والنَّسيج مهلهل .. ؟

فأى ضوضاء سوف تحدثها الزلازل ،

عند إذاعة الحفل ؟

وأى المدافن سوف يصدح صمتها بالبكاء المنغَّم

لينعقد السرادق السَّنوى

فى انتظار طقوسِ العزاء ؟

* * *

آه ..

هذه جثتى ..

أعرفها .. ولا أعرفها ..

وفى قميصى بطاقتى ،

وفصيلة الدم (أو) O

فسدوا منافذ الخروج

وأطيعونى ..

قالوا : متهمٌ بالشروع فى النوم المبكر

ولقد أخفى فى حجرته فصيلة من الكتب

وكتيبة من الدبابات

قال شاهد عيان : أجل سيدى ..

سمعتُه يترنم كصاعقه

وحين تبعتُه فى الليل استرخى على

شجرة بالطريق العام

بينما كانت قدماه عاريتين

فى اتجاه « ماسبيرو »

ويداه مبسوطتين نحوى

آه ..

لكنهم لمّا أجلسونى .. ضحكتُ

وضحكتُ .. وضحكتْ

* * *

- ٥

ربما قال الطبيب : هذا المهرج ممنوع من الكلام

وسجل فى دفتر الذاكرة : من المفيد أنْ

يغمره الماء

ثم أوصى بقليل من الطعامِ

واختفى !

رســـائل

- ١

أبى ..

أرسلتنى إليكَ

شوكةٌ بالحلق

وحُمَّى بالبدنْ

بعد أن غادرت الساحةَ

أقدامُ المودعين

وأظلم الضُّحى

- ٢

أمى ..

لمَّا جلسنا متعبين

كان كلٌّ شىء لا يعرفنى

كلٌّ شىء كان يعرفك ..

الماء

والهواء

والضياء

والأسى

وهدأةُ الجنين

ولمّا أمسكتِ بإصبعى الصغير

خطت فى دفترى :

هذا القلم لو تشظّى

لأورثنا السكينة ،

وشقَّ فى الفجاج نهرا

* * *

- ٣

صديقى

هكذا تغيبُ الحكمةُ عنكَ

بينما تقعد وحيدا ..

تحت وطأة الوداع

تعضّ على يديكَ ،

مُستسلما للسقوط بين مسافتين ..

قد تكفى إحداهما للموت

هكذا تشقى بالطقوس

وتفرح بالكوابيس

تقوم ...،

ولا يلتفتُ أحدٌ إليكَ

حيث لم يُكشف بعدُ عن الجدوى

من هندسة الأحلام

وفتوحات المقهورين

هكذا تستلقى فى الظِّل

وتمر الأيام ..

هكذا

هكذا

فمتى تعلن للسلطات المختصة

وتقرّ ..

بأنَّكَ كنتَ على دَرَجِ النَّار .. ،

إماماً للعمى ..

ولم تفطنْ لبهاء الفردوس

رغم بلوغ الستين

- ٤ -

ولدى ..

قد تطالعكَ المسافاتُ

وتلقى فى مراميكَ القنوط

فاستعذ بالذى جلاَّها

وألهمكَ الحضور

جمره الشّادى ندىً

وأمانيه بدور

هل ترى للكون معنى

دون أفلاك تدور ؟

وزمان سوف يأتى

وزمانٍ سوف يمضى

وسكونٍ فى القبور

فاتجه للذى أعطى ،

كلٌ نفس حظها ..

من هدى

أو فجور

- ٥ -

دمياط

إنّه البحر مثلى ..

راح يشدو ..

لم يكن له من أنيس سواكِ

إنَّه البحر مثلى ..

شبَّ عن الطوق حين رآكِ ..

وتعطَّر بثراكِ

* * *

آهِ ياصبح الوطن

إِنّه البحر ..

يتزيّا بالشجنْ

كم مشى الغازى حسيرا

ووقفتِ ..

قِبلة المشرقِ وملاذ الفاتحين

آهِ .. إننى .. قد فُتنتُ فُتونا

قلتُ : دمياط هوايا

وتراتيل السنين

وسنا الروح على مفرقِ الشاطىء

يرسو ..

والصِّبا والحنينْ

إنَّه البحر .. لا تعجبى ..

عبقرىٌّ لا يُبينْ

نارٌ لها .. ونارٌ لى ..

غرامُها أنتَ

غرامُها أنا ..

فما الذى خالجها

حتى مضتْ وخلّفتْ شجنى ؟

وما الذى فى الرِّيح أطلقها

وقيّدنى .. ؟

غلّقَ النَوافذَ ..

ردّها عنى

وحاصرنى

بعضٌ منِّى ، وبعض منكَ يسكنها
وأنتَ تفر من موتٍ
إلى مـوتْ
ومن وَقـتٍ
إلى وقت ،
... لتذكرها ..
(كِلينى لهم يا أميمةُ ناصبِ ..
وليل أقاسـيه ..)
(كلِينى لهم يا أميمةَ ناصبٍ)
وصبح أناجيه

فما جدوى الذى نخفيه

وما جدوى الذى نبديه ؟

* * *

كانت معى ، وكانت ريحها معك

تضرب أطراف ثوبى

وتدخل سرداب ليلى

فهل كنتُ ممن قضى وطراً

وأدركَ حاجَّة .. فهلكْ

* * *

من عتمتى ينشق حقل الضياء

ويطلع فى خشوع كوكبا

فهل تأملت هذا المدى ..
ورأيت ما رأيت .. ؟
أم عساكَ انجذبت
وعلى بساط جرحها استويت ؟

* * *

يغيب فى دمى رماد الوقت
وتفصل بيننا بيدٌ ونار
يضيق الصدر ..
فأسأل : كم لبثنا ؟
وقد شدّنا نحوها إعصار
فهل .. تأملتَ هودَجها

هل رأيت ما رأيتْ

أم عساكَ انجذبتْ ؟

غرامها أنت

غرامُها أنا

فما الذى خالجها حتى مضتْ

وخلّفتْ شجنى

وأودعتنا جمر الاشتعال

فافترقنا . ؟

صعود الجعارين

هذى الجعارينُ تفقد دهشتَها
وتقذف زوّارها بالضجيج
ما الذى أسكنها حجرة (إيزيس)
ودعاها للنحيب
وحدها الآن فى البهو ..
تَشْرَئِبُّ ..
ولا مجيبْ
تغمر موسيقاها فى النّهر ..
ولا مجيبْ
تصوِّب جناحيها نحو الخفافيش
الكلاب

الذئاب

ولا مُجيبْ

تتوحد فى اللّيل مع (أنوبيس)[1]

تبّدل حراسه

وتراقص خلَّه .. ،

ولا مجيب

هذى الجعارين تتدافع نحو المومياء

تطالع متن الأهرام

تحصد البرابرة والهكسوس

---

(١) أنوبيس : ملك الموت عند المصريين القدماء

ولا مجيبْ

تتسلق المسلات

تمشى بين التوابيت ،

ولا مُجيبْ

تبسط اليدين

وتبعث الإشارات

تملأ المقابرَ بالنباتاتِ

والمخطوطاتْ ،

والعقارب

ولا مُجيبْ

هذى الجعارين .. ،

كان عليها أن تذرف دمعة ،

وهى فى طريقها إلى الصُّعود نحو الشَّمسْ

كان عليها ألاَّ تقنع بالتراتيل اليائسة

حيث لم يعد الموتى من المقربينْ

ولم يعد يومها يشبه الأمس

* * *

هذى الجعارين . تتشرنقُ فى الحبسْ .

الصَّمت

يا التى فى خاطرى ..
أسرعى قبل الزِّحام
هبينى طائفا يطلق قمرى ..
ويهزم آلة الوعدِ التى أتلفتنى ..
يخرجنى من قفص اليمام
يا التى فى خاطرى تهذى ،
وتهزج ..
أسرعى ،
أسرعى قبل التَّمام ..
ثم انزعى عنِّى ريش الجناحين ،
ومنقار الغرام

فالمنى أيقظتنى ..
والصَّمتُ راح يشرب نهر الكلام
يا التَّى فى خاطرى ..
الهواجس ف
ر
ق
ت
ن
ى
فمتى نجمع الشَّمل ،
ونتلو كتابَ السَّلام ؟

العصافير

جميع العصافير تحطُّ على شجرِ اللّيل

وترقب طلّابها

توقظ رمح الصبّاح ،

وتبقى جفون الضّحى عندها

جميع العصافير تلملِمُ قشَّها

وتفتح للرصاصِ صدرها ..

جميع العصافير تصدح فى العاصفة

جميع العصافير ترقص للصاعقة

جميع العصافير تنأى ..

ثم تفيء إلى عشها :

تأكل جوعها

وتشرب ظمأها

فماذا ترتجى عند انفجارها

وصمتها فاتحة للهلاك ؟!

الفهـــرس

الفهرس

I . S . B . N (977 - 235 - 630 - 9)

(رقم الإيداع ٨٧٠٤ / ٩٦)

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٧٦٨٤ س ١٩٩٥ - ١٠١٢

